آل ذكوان ودورهم في القضاء بالأندلس

The Dhakwan family and their role in the judiciary in Andalusia

م.م. اكرم محي عاكول الموسوي

جامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم التاريخ

akram1977@uomustansiriyah.edu.iq

Assistant Lecturer : Karma Mohi Akul Al Moussawi

Al-Mustansiriya University / College of Arts

المستخلص :

يتناول موضوع البحث جانباً مهماً من جوانب التاريخ الاندلسي ، وهو فلسفة بني ذكوان بالقضاء ووظائفه من خلال العلاقة بين السلطتين الدينية والسياسية ، ومن خلال هذه الدراسة تبين ، ان مهنة القضاء عند بني ذكوان وعلاقتهم بالأمراء والخلفاء الأندلسيون قد استطاعوا الى حد ما تحقيق نوع من التوازن في علاقتهم من اجل الحفاظ على هيبة الدولة وتسيير شؤونها خاصة فيما يتعلق بالجوانب القضائية والإدارية ، وقد شكل الفقهاء طبقة اجتماعية لها مكانتها وثقلها وتأثيرها في اوساط الخاصة والعامة ، لما يحتله هؤلاء من مكانة روحية بين المسلمين، ولهذا حرص الامراء والخلفاء على ارضائهم ونيل تأييدهم من دون المساس بأمن البلاد ونظامها السياسي ، اذ لم تكن مكانة فقهاء الأندلس لدى خلفاء بني أمية على مستوى واحد بذلك على مكانته السابقة ، فمنهم من ازدادت مكانته وأصبحت له مكانة بارزة محافظا على مكانته السابقة في العصر العامري ، ومنهم من بدأ بروزه مع مجيء خلفاء هذا العصر ، وهناك من تراجعت مكانتهم بعد تميزهم في فترة من فترات هذا العصر ، هناك من لم يحظ بأي مكانة تذكر .

الكليمات المفتاحية : (ذكوان ، الفقهاء ، القاضي عياض ، الاندلس ، الفقيه)

Abstract :

The subject of the research deals with an important aspect of Andalusia history, which is the relationship between the religious and political authorities. Through this study, it was shown that the Andalusia princes and caliphs were able to some extent to achieve a kind of balance in their relationship with the jurists in order to preserve the prestige of the state and manage its affairs, especially with regard to In administrative aspects, the jurists formed a social class that had its position, weight, and influence among private and public circles, due to the spiritual status they occupied among Muslims. This is why the princes and caliphs were keen to please them and gain their support without compromising the security of the country and its political system, since the status of the Andalusia jurists was not among the caliphs. Umayyad was built on one level, based on his previous position in the world. Some of them increased in status and became prominent, maintaining their previous position in the Amiri era, and among them were those whose emergence began with the coming of the caliphs of this era, and there are those whose status declined after their distinction in one of the periods of this best era. There are those who did not have any significant status.

Key words: (dhikwan , alfuqaha' , alqadi eiad , aliandlas , alfaqih)

المقدمة :

تعد الحقبة التاريخية الاندلسية من اهم الحقب في الدولة العربية الاسلامية ، اذ دام حكم العرب المسلمين للأندلس ما يقارب الثمانية قرون (٩٢ – ١٩٧ هـ /٧١٠– ١٤٩٢م) أعطى خلالها الإسلام الذي كان قد خلق توافقاً واندماجاً بين حضارتين متضادتين باستناده على فكره الكوني ، وصفة التسامح لمفهومه الديني ، وباعتماده على قدراته الهائلة في التمثيل والإبداع ، وميله المتميز إلى التجريب والاختبار ، ثماراً عظيمة في بلاد الأندلس التي شهدت أهم اندماج عرقي بين الشرق والغرب ، وكانت الحضارة يومها تشع من حواضر الأندلس ومدنها الكبيرة والكثيرة وكانت قرطبة ينظر ترجمة (د. يوسف ، ٢٠٠٤، صفحة تر ٣١٠ / ص ٤١٩) في عصر

الخلافة الأموية (٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣٠ م) عاصمة الإسلام السياسية الأكثر سطوعاً في ذلك الوقت والأكثر تحضراً في أوربا (ابن عذاري، ١٩٨٣، صفحة ج٢ / ص٢) .

١ . لمحة عن بني ذكوان :

اشتهرت هذه الاسرة بحبها لطلب العلم والمعرفة ويعد الانتماء أحد الأسباب المؤثرة في مواقف بعض الفقهاء ، سواء كان انتماء ، قبلي أو لمدينة ما فانتماء بعضهم لأسر اشتهرت بمكانتها الاجتماعية أو مذهبا أو عرقا أسريا أو العلمية وتقارب هذه المكانة مع مكانة الأسرة الحاكمة ، أسهم ولو بصورة غير مباشرة في إبداء الفقيه التأييد السياسي للحاكم ، وتأثره بميول أسرته ، ومن هؤلاء أبو بكر بن ذكوان ولد القاضي أبي العباس بن ذكوان ، فهو فقيه ينتمي لأسرة من أشهر أسر العلم حتى أن الذهبي ذكر بني ذكوان وقال عنه القدوة الحافظ (الذهبي ، ١٩٨١، صفحة ٥ / ٣٦) ، ويبدو أن الانتماءات العرقية كان لها دور في توليهم لبعض المناصب .

منذ أن قامت الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨هـ / ٧٥٥ م) كانت السلطة الدينيه ظهيرا للسلطة السياسية فيها ومصدرا يستمد منه الحكام سلطتهم الروحية ، ولا شك أن دراسة العلاقة بين السلطتين يستمد منه الحكام عن تفاصيل مهمة تخص إدارة الدولة بالذات ، وما كان يدور في أروقة القصور من قضايا تخص الكثير من الشخصيات الدينية والسياسية التي تجاذباتها المواقف والأحداث التي توضح معطياتها مسار العلاقة بين تلك المؤسستين (الصلابي ، ٢٠٠٨، صفحة ج١ / ١٢) .

وأن احد اجداد آل ذكوان كان شاعرا ومن الشعراء الفحول لبني سليم ، هو عمير بن الحباب أبو المغلس عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محاربي بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، فارس وشاعر من بني سليم ، تغلب على نصيبين وغيرها من مدن الجزيرة الفراتية فأمنه عبد الملك ، إلا انه سرعان ما غدر به وحبسه ، ثم هرب من الحبس ، قتله ابن هوبر في حرب قيس وتغلب سنة (٧٠هـ / ٦٨٩ م) (البلاذري ، أحمد بن يحيى، ١٩٩٦، صفحة ج١٣ ، ٣٣١ . ٣٣٢) .

٢ . قاضي القضاة ابو العباس أحمد بن ذكوان :

أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان هو قاضي قضاة الأندلس وقاضي الجماعة بقرطبة وخطيب مسجدها الجامع يكنى بأبي العباس اشتهر من أهل عصره بالحكمة والزهد والسعة العلم (ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، ٢٠١٠، صفحة ج١ / ٧٠) ، وبعد ذلك كلف أبا العباس من قبل الدولة بوظائف الجديدة اذ كلف بمهام قاضي قضاة الأندلس كقاضي الجماعة بقرطبة وخطيب مسجدها ويلقب بأبي العباس اشتهر من أهل عصره

بالحكمة والزهد والعلم وغزارة المعارف فضلا عن تواضع العلماء ، كان أحرص الناس في عصره على إقامة العدل وارجاع الحق لكل شخص يستنجد به من العامة والخاصة حتى عرف انه من اهل الخير والبركة والايمان ، اذ قام بنشر الفضيلة بين صفوف المجتمع الأندلسي وقد وظف منصبه في القضاء كالخطابة لتحقيق هذا الهدف المنشود ، بعد ما اصبح جامع قرطبة منارة للعلم في الغرب الاسلامي على الاطلاق (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ج١ / ٧٠) (عيسى، ١٩٨٢، صفحة ٧٨ . ٧٩) .

٣ . اسمه ونسبه :

ابو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الاموي القرطبي ويرجع نسبه الى بني سليم بن منصور من قيس بن عيلان من العدنانية (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ج١ ، ٣٧) ، تعود بداية بروز آل ذكوان لدى الأمراء والعامة ، منذ عهد المنصور بن أبي عامر ، وقد ورث أبو العباس هذه المكانة بتوليه خطة الرد ينظر (قلعه جي ، محمد رواس، ١٩٩١، صفحة ١٧٥) من بعده ، ثم قضاء الجماعة ، وقد أسهم علمه ، وحسن سيرته ، في بلوغه أعلى المناصب اذ جمعت إليه الخطبة ، والصلاة إلى جانب القضاء ، ويعد ابو العباس أحمد بن ذكوان قاضي الجماعة بقرطبة وخطيبها ، وآخر القضاة بعهد الجماعة ، يكنى أبا العباس تم تعيينه على قضاء الجماعة على يد محمد بن أبي عامر في عهد الخليفة هشام بن الحكم سنة (٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م) ، أصلهم من برابرة فحص البلوط وهي من مدن الاندلس قريبة من قرطبة . ينظر : (الحميري ، محمد عبد المنعم ، ١٩٨٨، صفحة تر ١٢٧ ، ١٤١) ، ويتولون بني امية ، وعندما انقرضت دولة بني امية ، انتموا في قيس عيلان بن سليم ، وكان أبوه أبو بكر عبد الله بن هرثمة بن ذكوان (السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ٢٠١٠، صفحة ج٢ ، ٦٥) ، من أهل العلم ، ولي خطة الرد بقرطبة بعد صلب عبد الملك بن منذر صاحب الرد وله مكانه عند المنصور وسمع قاسم بن أصيغ واحمد بن عبادة ، وقال الفرضي كان عاقلا أديبا عالما باللغة والنحو حافظا للمشاهد والايام وكانت وفاته عام (٣٧٠ هـ) (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٧ ، ١٦٧) ، وقال ابن الفرضي أصلهم من جيان ينظر (ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله، ١٩٩٣، صفحة ج١ / ٧٠) (د. يوسف ، ٢٠٠٤، صفحة تر ١٤٧ / ص٢٩٨) ، وقد نرى أن كل التراجم التي تناولت هذه الأسرة تؤكد على أنها من بيوت الأندلس الشهيرة التي توارثت العمل كالقضاء والوزارة لمدة تزيد عن القرنين استطاعت خلالها من تستحوذ على مكانة سياسية وعلمية في الدولة متوارثه أبا عن جد .

٤ . نشاته :

تعد اسرة بني ذكوان من الأسر العريقة في مجال العلوم الشريعة الاسلامية والآداب ، وعرف بيت ذكوان بالفقه والقضاء واشتهر هذا البيت بانتمائهم للسلطة الحاكمة ، وكذلك تميز وعرف بيت ذكوان في الاندلس ببساطتهم وتقربهم للناس والفقراء وأن علومهم والمعرفة والفقه الذي ملكوه لم يكن حاجزا بينهم وبين الطبقات الفقيرة ، اذ يعد ابو العباس بن ذكوان من أكمل فقهاء الاندلس وأتمهم عقلا ، وكان من جلّة اصحاب الفقيه العالم ابن زرب وهو قدمه للشورى (زنيدر ، كمال، ٢٠٢٠، صفحة ٢٦) ، ثم ولاه ابن أبي عامر عند وفاة أبيه خطة الرد ثم قضاء الجماعة عند عزل ابن برطال . ينظر : (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ج٢ ، ٦٠٣) ، وبعد أن كانت الأندلس قليلة العلم قبل دخول المسلمين ، حتى اصبحت قبلة لطلاب العلم من كل مكان ، وانتشرت العلوم على اختلافها ومنها علم الفلسفة واعتبرت مخالفة وقوبل بامتعاض من قبل الفقهاء والعامة الذي تحول الى رفض شديد واعتبرت مخالفة للدين وكل من يتعلمها زنديق خارج عن الاسلام وخاصة في نهاية القرن الرابع الهجري وفي عهد المنصور بن أبي عامر الذي كان من رواد النهضة العلمية والأدبية في زمنه ، وكان مولعا بعقد مجالس العلم في بيته ، وإقامة مناظرات بين الشعراء والأدباء ، لكنه بدأ بملاحقة الفلاسفة وكتبهم ، ومن اشتغل بعلم التنجيم ، وأحرق كتبهم بحضور الفقهاء وكبار رجال الدولة مثل ابن ذكوان والزبيدي ، وحرق بعض الكتب بنفسه (ابن عذاري، ١٩٨٣، صفحة ج٢ ، ٢٩٢ . ٢٩٣) .

٥ . صفاته :

كان صارما في حكمة ، محمود الطريقة عاقلا عالما بمذهب المالكية ذا عفاف ونزاهة ، وبراءة من الريبة وبعد همة وفرط هيبة ، وقد كان في مرتبة الخليفة ولم يقدر أحد ينقصه منها على اختلاف الدول وحلول الفتن الى ان فارق الحياة وهو أعلى الناس محلا (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٧ ، ١٦٨) .

وقد ذكر أبو الخيار الشنتريني (الذهبي شمس الدين بن عثمان ، ١٩٨٤، صفحة ج١٩ ، ٥٧٨) ، انه له نظر وفهم في الفقه على مذهب مالك فأدرك طرفا منه ، الا انه لم يستبحر في الحفظ واكتسب الحدق في الحكومة ، وكان مع ذلك صليباً ، بعيدا من المداراة ، حادبا بالناس اجلاله عن مذاكراته ، فلاذوا من مناظرته بالتسليم والموافقة .

٦ . خطة القضاء :

تعد مكانة رجال الدين وسلطتهم في الاندلس اعلى المراتب وقد مثلت سلطة الفقهاء المالكيين أعلى سلطة دينية في ظل نظام ثيوقراطي يتربع الأمير في أعلى تركيبته الهرمية وعلى الرغم من أن تلك الشخصية المقدسة كان يعد الحاكم المطلق للبلاد على ما يبدوا إلا أن البحث في تفاصيل العلاقة بين السلطتين الدينية والسياسية ، تكشف عن معلومات مهمة تتعلق بمدى أتساع مساحة سلطان الحاكم الأندلسي وحدود تصرفها ونجد ان القضاة كانوا ممن يدعون مع غيرهم من أجل الاشهاد على عقود وعهود سياسية ، فمثلاً ان مرسوم تولية العهد الذي اصدره الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ – ٣٩٩ هـ / ٩٧٦– ١٠٠٨م) لحاجبه عبد الرحمن المنصور قد ذُيل بشهادة قاضي الجماعة احمد بن ذكوان (ت : ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) ، وشهادة الوزراء وهم تسعة وعشرون وزيراً ، ومائة وثمانون رجلاً من اكابر أهل الدولة والحكام والفقهاء وغيرهم (عنان ، محمد عبد الله، ١٩٩٠، صفحة ج١ ،٦٢٦) ، وهكذا نجد ان أشهاد القضاة على مراسيم الدولة وعهودها تهدف منه السلطة التوثيق واعطاء الصفة الشرعية من أجل تنفيذها ، وحرص الحاجب المنصور على اختيار شخص يكون ذا مكانة كبيرة في علمه وفقهه ، ويكون من أسرة ذات باع طويل في القضاء ، وذا شهرة بالعدل ، وانصاف المظلومين فوقع اختياره على العالم الكبير أحمد بن ذكوان ، الذي اشاد بهِ عياض قائلاً بانه كان عاقلاً ، عاملاً ، بمذهب مالك ، ذا عفاف ونزاهة وبراءة من الريبة ، وبعد الهمة ، وفرط الهيبة ، ومرتبة كبيرة لم يقدر احد على ان ينقصه منها ، قلامة اظفر ، مع اختلاف الدول ، وحلول الفتنة الى ان فارق الحياة وهو اعلى الناس محلاً (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٦٢) .

وقد افرد ابن ابي عامر بالفتوى في امور الجباية بين العمال والرعية وكان ممن أفتاه بالتجمع بجامع القصر الزهراء (ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله، ١٩٩٣، صفحة ج٣ ، ١٦١) وخالف من ذلك أصحابه ومنهم ابن العطار ، والتزم الصلاة معه فيه بقية مدته والجلوس فيه للأقراء ، وممن بالمسجد أحمد بن ذكوان وولى القضاء وعلا شأن ابن ذكوان أيام عبد الملك المظفر فازدادت غضاضة ابن العطار ، وطالب ابن العطار ابن ذكوان فأعجلته المنية قبل نمكنه منه (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٧ ، ١٥٥) . وعندما تولى القضاء في عهد المنصور بن أبي عامر وكان من جملة أصحابه وخواصه ومحله منه فوق محل الوزراء يفاوضه في تدبير الملك وسائر شؤونه ، ولم يتخلف عنه في غزوة من غزواته ، وكذلك كان حاله مع ولديه المظفر والمأمون بعده ، قد تيمنوا برأيه ، وعرفوا النجاح في مشورته ، وكان له داخل القصر بيت خاص به ، يأتيه آخر النهار فيجلس فيه ، الى أن يخرج اليه ابن ابي عامر فيفاوضه في جميع ما يحتاج اليه ، وقد انقضت على يديه الكثير من حوائج الناس (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٧ ، ١٦٩) ، اذ كان

أبو العباس بن ذكوان وهو احد قضاة الاندلس قد حضر لصلام جنازة وصلى على ابن العطار عند وفاته عام (٣٩٩ هـ / ١٠٥٠ م) ، واستمرت مدة ابا العباس في القضاء سبعة اعوام ونصف . أن خطة قضاء الجماعة كانت أعلى رتبة من خطة الرد ، لأننا لاحظنا أن الذين تولوا قضاء الجماعة نقلوا إليها من خطة الرد ، وذلك ما ورد في ترجمة عبد الله بن هرثمة بن ذكوان ، وهذا ما يجعلنا نذهب إلي ما ذهب إليه علال الفاسي بأن خطة الرد أقل من قضاء الجماعة فتكون بمثابة محكمة النقض في الأنظمة العصرية (الفاسي ، علال، ١٩٦٢، صفحة ٩٠) . وفي بعض الاحيان يتقدم كاتب القاضي الى القضاء ، بسبب ما يكسبه من خبره ومعرفة وتجربة قضائية اثناء عمله بهذهِ الوظيفة المهمة ، فكان أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد المعروف بأبن الحصار من اصحاب قاضي الجماعة احمد بن ذكوان ، وكاتبه في مجلسه القضائي ، وولاه الشورى مع وظيفته ، ثم اختاره للقضاء في الفتنة ايام الدولة الحمودية (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٧٣٦) .

٧ . خطة الصلاة والخطبة :

بعد وفاة القاضي ابراهيم بن الشرقي الحاكم ، جمع اين ذكوان بين القضاء والصلاة والخطبة وبقى الى أن هلك المنصور وولي ابنه المظفر فزاده أثرة ، وبقى على الحال الى أن فسد ما بين ابن ذكوان وبين وزير الدولة عيسى بن سعيد بسبب فسخ شراء (ضيعة) ينظر (بفتح الضاد وسكون الياء وضيع وضياع بكسر الضاد وهي الارض ذات الغلة اي القرية (قلعه جي ، محمد رواس، ١٩٩١، صفحة ٢٥٧) اشتراها عيسى من ولد ابن السليم السفيه ، قضى ابن ذكوان بردها الى ابن السفيه وفسخ بيعه فالتحمت بينهما العداوة ، وتحيل عيسى في طلب ابن ذكوان وجوه حيلة وقع بها أبا العباس ابن ذكوان وزعل المظفر منه فصرفه عن القضاء والصلاة وصرف آخاه أبا حاتم عن المظالم وساء رأيه فيهم وعزله وأسف الناس على فقده ، وولى القضاء والصلاة لعبد الرحمن بن فطيس ، فلم يستمر به وعاقب المظفر كل من القاضي والوزير ، وقرر المظفر ارجاع ابن ذكوان للقضاء والخطبة والصلاة بعد تسعة أشهر من عزله (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٧ ، ١٧٠) .

اذ ذكر القاضي عياض ان الحاجب المنصور قد ذهب في احد الاعياد الى مدينة طليطلة وبمعيته قاضي الجماعة احمد بن ذكوان ، وقد حضرا خطبة قاضي طليطلة وصاحب الصلاة احمد بن الحكم العاملي ، وكان قاضي الجماعة قد نوه الى صاحب الصلاة ان يطري عليه امام الحاجب المنصور ، الا ان صاحب الصلاة قد ارتج عليه الامر فارتبك وباشر بالقاء خطبة موجزة ختمها بالدعاء واقامة الصلاة الأمر الذي أثار انتباه الحاجب المنصور لذلك ، فقال المنصور لابن ذكوان : لم يفي ضمانك فيه ، لم يأمر بشرائع الإسلام ، فذكر ابن ذكوان ذلك لأحمد بن يحيى ، فقال : أحببت السنّة في تقصير الخطبة، ولم أظن أنكم نسيتم شرائع الإسلام فأذكركم بها ، فلما بلغ المنصور كلامه ضحك واستظرفه (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٧٢٨) .

ويبدو ان قاضي الجماعة بن ذكوان كان يحظى بمكانة اثيره عند الحاجب المنصور وهذا ما لمسناه من نصوص القاضي عياض التي اشار بها الى تقلد ابن ذكوان مناصب قاضي الجماعة والصلاة والخطبة ، التي تقلب بها ما بين تولية وعزل ، اذ اجمعت له سنة (٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م) ، فلم يزل يتقلدها مع القضاء الى ان صرف عنهما سنة (٣٩٤ هـ /١٠٠٣ م) ، ثم اعيد الى الصلاة والقضاء ، ولم يزل يتقلدها الى ان صرف عنهما ثانية سنة (٤٠١ هـ /١٠١٠م) (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ٣٧ . ٣٨) . ونجد القاضي احمد بن حكم العاملي (ت : ٣٦٦ – ٣٩٢ هـ / ٩٧٦ – ١٠٠١ م) ، الذي ولي احكام القضاء مدينة طليطلة من قبل الحاجب المنصور .

٨ . نائب القاضي :

ومن بين الحالات التي اختار فيها القاضي نائباً له هو بعد خروجه لأمر الجهاد والدفاع عن البلاد فمثلاً كان قاضي الجماعة أحمد بن عبد الله بن ذكوان (الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن فتوح، ٢٠٠٨، صفحة ٤٧) الذي كان ملازماً للحاجب المنصور بن أبي عامر وولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن المظفر في غزواتهم وفي سفرهم ، ولذا فقد كان يستخلف على قضاء الجماعة بقرطبة أخاه أبا حاتم محمد صاحب المظالم طيلة غيابه عن قرطبة (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٦٢ . ٦٦٧) .

٩ . خطة الوزارة :

يصف ابن سعيد خطة الوزارة انها قاعدة بالأندلس كانت في مدة بني امية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للإعانة والمشاورة ، ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب ، وكانت هذه المراتب متوارثة في بيوت معلومة (المقري ، شهاب الدين التلمساني، ١٩٤٠، صفحة ٢١٦) ، وقد استمر مشوار أل ذكوان في دولة العامرية بأحسن وجه ، وبعد وفاة المظفر وتولي عبد الرحمن فرفع منزلة ابن ذكوان كثيرا حتى ولاؤه الوزارة مجموعة الى قضاء القضاة ولم يجتمعا لاحد بالأندلس قبله ولا خطط بقضاء القضاة بها أيضا أحد قبله ، وانما كانوا يتخططون بقضاء الجماعة ، وانقرضت دولة بني عامر بقيام المهدي بن عبد الجبار المرواني عليهم أول ملوك الفتنة ، وكان احقد الناس على آل ذكوان وكره من العامرية ، ولم يمس ابن ذكوان بسوء لجلالته في قلوب الخاصة والعامة وعزله من كل شيء وولى قضاء الجماعة (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٧ ، ١٧١) .

واشار القاضي عياض الى استحداث لقب جديد ضمن الالقاب التي اغدقت على القضاة ، وهذا اللقب حاز عليه احمد بن ذكوان اثناء حكم الحاجب عبد الرحمن الناصر ، اذ اغدق عليه بلقب قاضي القضاة ، وهذا اللقب

لم يكن مألوفاً في الاندلس على الرغم من انه قد عرف بالمشرق خلال القرن (الثاني للهجرة / القرن الثامن الميلادي) ، وهذا يُعد تكريماً واستحداثاً جديداً بمؤسسة القضاء بالأندلس ، ولم يكتفِ الحاجب الناصر باللقب الذي منحه لابن ذكوان ، بل اوكل اليه منصب الوزارة بشكل فعلي من حيث التسمية والمهام التي اضطلع بها (ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي، ٢٠١٠، صفحة ج١ ، ٢١٦) ، وقد كانت رسوم الدولة تقتضي تقديم لقب الوزارة على القضاء في المكاتبات ، فالقاضي احمد بن ذكوان ((كان يكتب عنه من الوزير قاضي القضاة)) (ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي، ٢٠١٠، صفحة ج١ ، ٢١٥) .

١٠ . خطة الرد والمظالم :

يبدو أن هذه الخطة من الخطط القضائية التي خول لها صلاحيات النظر فيما رده القاضي ، وقد تكون خطة قضائية متخصصة في النظر في القضايا التي يعجز القاضي عن الحكم فيها ، وأنها خطة لم تدم طويلا ، وحلت محلها خطة المظالم ، وذلك ما أشار إليه بروفنسال بقوله ويؤخذ مما اتصل بعلمنا أن نظام الرد كان قد هجر في الأندلس إزاء نظام المظالم الذي قامت الشواهد الأندلسية اللاحقة عليه (الهروس ، مصطفى، ١٩٧٧، صفحة ٢١٢) ، ولقد كان لأسرة آل ذكوان شهرة واسعة في القضاء والرد والمظالم في الاندلس بعد توارث الاجداد والابناء والاحفاد العمل فيها ، وهم من العوائل الشهيرة من فحص البلوط ، أن صاحب خطة الرد كان يقوم بدور الوسيط في نقل شكاوى وطعون القاضي إلى الأمير ، وعلق على ذلك قائلا : لا يبدو أن صاحب الرد كان له هذا الدور البسيط الذي يتمثل في تلقي الشكاوي ... يوجد نص يجعل من صاحبها قاضيا لم يزل حاكما بخطة الرد هناك نص آخر يعطيه رتبة قاض القاضي أبن ذكوان صاحب الرد (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ج١ ، ٤٣) ، فقد تولى ابو مروان عبد الملك بن منذر البلوطي خطة الرد من قبل الخليفة الحكم المستنصر ، الذي كان من المقربين للخليفة بسبب ما يملكه من مؤهلات ، وتولى بعده عبد الله بن هرثمة بن ذكوان (السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ٢٠١٠، صفحة ج٢ ، ٦٥) ، خطة الرد من قبل الحاجب المنصور بن ابي عامر (الخلف ، سالم بن عبد الله، ٢٠٠٣، صفحة ج٢ ، ٧٦٨) ، ووصف القاضي عياض عبد الله بن هرثمة بانه كان من اهل العلم ، ومن جُلة اصحاب القاضي ابن زرب ، وله مكانة كبيرة عند الحاجب المنصور بن ابي عامر (السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ٢٠١٠، صفحة ج٢ ، ٦٥٩) ، وقلد الخليفة المعتمد بالله هشام قاضي الجماعة يونس بن الصفار (ت : ٤٢٩هـ / ١٠٣٧ م) .

ولقد كان لأسرة آل ذكوان شهرة واسعة في القضاء والرد والمظالم في الاندلس بعد توارث الاجداد والابناء والاحفاد العمل فيها ، وهم من العوائل الشهيرة من فحص البلوط ، فقد تولى ابو مروان عبد الملك بن منذر البلوطي خطة الرد من قبل الخليفة الحكم المستنصر (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ،

٦٦٢) ، الذي كان من المقربين للخليفة بسبب ما يملكه من مؤهلات ، وتولى بن ذكوان (الخلف ، سالم بن عبد الله، ٢٠٠٣، صفحة ج٢ ، ٧٦٨) ، خطة الرد من قبل الحاجب المنصور بن ابي عامر (ابن حزم ، ابو محمد علي ، ٢٠٠٣ ، صفحة ١٧٥) ، ووصف القاضي عياض بانه كان من اهل العلم ، ومن جُلة اصحاب القاضي ابن زرب ، وله مكانة كبيرة عند الحاجب المنصور بن ابي عامر (بانه كان عاقلاً ، اديباً ، عالماً باللغة والنحو ، حافظاً للمشاهد والايام ، ذا مروءة وافرة ، وعقل راجح . ينظر : (السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ٢٠١٠، صفحة ج٢ ، ٦٥٩) ، وتولى خطة الرد المظالم وبعد ذلك قضاء الجماعة من قبل الحاجب المنصور ، فكان صارماً في حكمه ، محمود الطريقة ، صليباً ، وتحامل الناس السؤال منه وكان أكبر ما فيه عقله ورأيه (ابن الآبار ، محمد بن عبد الله القضاعي، ٢٠٠٠، صفحة ج١ ، ١٨) ، كما تولى القضاء لأولاد المنصور المظفر والمأمون (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٦٢ . ٦٦٣) .

من خلال النصوص التاريخية يتبين أن هذه الخطة كانت أقل في رتبتها من خطة قاضي الجماعة ، فقد تم نقل أحمد بن هرثمة بن ذكوان إلى قضاء الجماعة من خطة الرد فهل هذا النقل من رد المظالم الى القضاء يعتبر ترقية . و قد تقلد القضاء بفحص البلوط ، ثم تقلد خطة الرد مكان والده عبد الله بن هرثمة ، كما كان مشاورا في الأحكام إلى أن ولاه القضاء بقرطبة (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ج١ ، ٤٣) .

١١ . خطة الشورى :

وذكر القاضي عياض ان القاضي قاسم بن محمد بن قاسم (ت : ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) كان من اهل الشورى بقرطبة قبل ان يتولى احكام القضاء فيها (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٤٤٢) . كما شوورِ في الاحكام محمد بن يبقى (ت : ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) قبل ان يلي القضاء من قبل قاضي الجماعة ابي بكر بن السليم ، لأنه كان ذا خبرة بشؤون القضاء فضلاً عن كونه من أحفظ أهل زمانه لمسائل مذهب مالك وأفقههم به ، وكان امية بن احمد بن حمزة (ت : ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) ، من جملة المشاورين في الاحكام لقاضي الجماعة محمد بن يبقى ، ومن وجوه اصحابه ، قبل ان يتولى امية بن احمد هو نفسه قضاء الجماعة بقرطبة من قبل الحاجب المنصور بن ابي عامر ، ومن القضاة الذين تقدموا الى الشورى في الاحكام ايام قاضي الجماعة محمد بن يبقى ، هو قاضي القضاة احمد بن ذكوان (ت : ٤١٣ هـ / ١٠٢٢م) ، قبل ان يلي القضاء (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٦٢) .

وقدم قاضي الجماعة احمد بن ذكوان صاحب الاحباس الفقيه عبد الرحمن بن أحمد ابن سعيد البكري الى الشورى في ايامه على القضاء كونه احد الحفاظ للمسائل والمتبحرين في الرأي (القاضي عياض السبتي اليحصبي

، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٨٠) ، كما قدم ابن ذكوان الفقيه العالم المجتهد صاحب التأليف الوافر والذي اشتهر بعلمه وفقه وله من المعرفة والحفظ الكثير (أبو القاسم ابن نابل) (ابو القاسم يحيى بن عمر بن حسين بن محمد بن عمر بن نابل القرطبي . ينظر : (الذهبي شمس الدين بن عثمان ، ١٩٨٤، صفحة ج٢٨ ، ٥٣) للشورى في ايامه ، لأنه من بيت علم مشهور بقرطبة ، وانه من أهل الرواية الواسعة له حظ من الفقه ، وعقد الشروط ، وتصرف في العربية والشعر ، مسنداً صدوقاً ثقة فاضلاً ورعاً (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٧٣١) .

١٢ . خطة الشرطة :

أما خطة شرطة بالأندلس فأنها مضبوطة ويعرف صاحبها في السن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل ، هو عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن يجب عليه دون استئذان السلطان ، وعمله يحد من الزنا وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه ، ومن مشاهير القضاة الذين ظفروا بخطط وولايات عدة ورد ذكر بعضها عند القاضي عياض ، فضلاً عن غيرها من الخطط التي اوردتها المصادر الاخرى ، هو احمد بن ذكوان الذي اشارت المصادر الى تقلده خطة الشرطة ، وكان مشهوراً بالصلابة لأحقاق الحق وارجاعه لأصحابه (ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي، ٢٠١٠، صفحة ج١ ، ٢١٦) ، وكذلك فعل القاضي عياض مع القاضي ابي محمد الشقاق مكتفيا بذكر اهل قرطبة وانهم قد اجمعوا على توليته احكام القضاء ايام الفتنة التي عصفت بالأندلس (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٧٢٩) .

١٣ . خطة السوق والاحباس :

وكانت الأحباس تحتل مكانة هامة خلال عهد الإمارة وكذلك في فترة الخلافة ، لكنها فقدت حرمتها زمن الفتنة ، فقد جمع أهل قرطبة مالا كثيرا للإفرنج وسألوا القاضي ابن ذكوان أن يدفع إليهم مال الأحباس المودع في مقصورة الجامع فامتنع عنهم فكسروا باب المقصورة وأخذوه فرفعوه وفي زمن الفتنة البربرية الثانية في عهد هشام المؤيد ، عزم الجند والرعية على قتال إلى الإفرنجة (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٢ ، ١٠٩) ، ويذكر المقري ويقول أن خطة الاحتساب فأنها عندهم موضوعة في اهل العلم والفطن وكان صاحبها قاضي والعادة ان يمشي بنفسه راكبا يتجول داخل الاسواق واعوانه معه وميزانه الذي يزن به الخبز بيد اعوانه ، لان الخبز معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف وكذلك الثمن واللحم عليه ورقة بسعره ، ويرسل المحتسب صبي ليشتري لحم حتى يزنه ويتأكد من وزنه واذا به نقص يحاسب البياع ، وكان القاضي هشام بن عمر بن سوار (ت : ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) ، قد تولى احكام السوق بشرق الاندلس مع وظيفة القضاء ، واسندت خطة السوق

خلال ايام الفتنة الى حسن ابي علي بن محمد بن عبد الله بن ذكوان ، الى جانب خطة القضاء ، لأنه كان ثقةً ، عارفاً بالحكومة ذا جزالة ونزاهة وعلم وادب (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٦٧) .

لم تتوسع المصادر التاريخية من ذكر تفاصيل تخص قاضي الجماعة احمد ابن ذكوان ، ففي زمن الفتنة البربرية بقرطبة سنة (٤٠١ هـ / ١٠١٠ م) ، وافق هذا القاضي على اعطاء المدافعين عن قرطبة خمسمائة فرس من اموال الاحباس . وفوض قاضي الجماعة احمد بن ذكوان ، (عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد) (ابو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد البكري ، يعرف : بابن عجب . ينظر : (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ٣٠١) الاحباس في ايامه ، كونه رجل ثقةً امين ، وعلى الرغم من تأثر الاحباس وعمل القضاة بالاضطرابات السياسية التي شهدتها بلاد الاندلس ، فان بعض القضاة قد اتبعوا الشدّة والصرامة في سبيل الحفاظ على الاحباس ومتعلقاتها من اي تطاول او اخلال بعوائدها فهذا القاضي احمد بن ذكوان المشرف على الاحباس لم يمتثل لطلب حاكم قرطبة ايام الفتنة الحزم بن جهور الذي طلب منه الصرف على المصالح العامة من مال الاحباس ، فلم يوافق قاضي القضاة احمد بن ذكوان (ت : ٤١٢ هـ /١٠٢٢م) على ذلك ، والح ابن جهور عليه ، فلم يساعده وسدّ بابه عن الحكم واحتشم هذا القاضي عن الحاكم (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٧٨٥) .

وقد اراد حاكم قرطبة (ابن جهور) (أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغفار بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية . ينظر : (ابن الاثير ، عزدين ابو الحسن السيباني، ١٩٩٧، صفحة ج٧ ، ٦٢٨) ، ايام الفتنة ، ان يأخذ اموال الاوقاف (الاحباس) ، لينفقها على المصالح العامة ، فلم يوافق قاضي القضاة احمد بن ذكوان (ت : ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) على ذلك ، ولم ينفذ رغبته ، والح ابن جهور عليه ، فلم يساعده وسد بابه عن الحكم واحتشم القاضي عن الحاكم ، وهذا يفصح لنا عن شجاعة هذا القاضي وجرأته في اقرار الحق ، ومن هذا يتضح أن سياسة بعض حكام الاندلس مع القضاة كانت تتسم بالاحترام والتأييد والمساندة في إنفاذ أحكامهم، وعدم نقضها ، بالرغم من أن بعضها كان لا يوافق رغباتهم ، كل هذا حرص منهم على إتباع الحق ، ونشر العدل ((اذ ان الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النّوع)) (ابن خلدون ، عبد الرحمن الاشبيلي، ٢٠٠٠، صفحة ج١ ، ٥١) .

١٤ . كاتب القاضي :

وهي من اهم وظائف القضائية والتي يكون عملها مساعدة القاضي في شؤون عمله ، فهي على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل وله حظ في قلوب والعيون عند اهل الاندلس واشرف اسمائه الكاتب ، اما الثاني هو كاتب

الزمام ويعرف بكاتب الجهبذ ولا يكون بالأندلس ولا نصرانيا ولا يهوديا ، اذ هذا الشغل نبيه يحتاج عظماء الناس ووجوههم ، وفي بعض الاحيان يتقدم كاتب القاضي الى القضاء ، بسبب ما يكسبه من خبره ومعرفة وتجربة قضائية اثناء عمله بهذهِ الوظيفة المهمة ، فكان أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد المعروف بأبن الحصار من اصحاب قاضي الجماعة احمد بن ذكوان ، وكاتبه في مجلسه القضائي ، وولاه الشورى مع وظيفته ، ثم اختاره للقضاء في الفتنة ايام الدولة الحمودية (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٧٣٦) .

١٥ . دور ابن ذكوان العسكري :

ومن القضاة الذين وردت اسماؤهم ضمن المشتركين في العمليات العسكرية الجهادية في الاندلس ، هو قاضي طليطلة محمد بن عبد الله بن عيشون (ت : ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) (ابن عيشون محمد بن عبد الله ، أبو عبد الله ينظر : (الذهبي شمس الدين بن عثمان ، ١٩٨٤، صفحة ج٢٩ ، ١٣١) ، الذي ذكره القاضي عياض في كتابه بانه كان أُسر وافتدى ، وأطلقه النصراني الذي كان عنده ، ليجمع فداه مع موكل به ، فعرض أمره على أهل طليطلة ، فلم يجتمع له فداه وعزم على الرجوع الى مولاه النصراني ، إذ كان عاهده على ذلك ، وقيل له اقصد رجلاً كان بينهُ وبَينِه شيء فامتنع ، ثم أدته الحال الى ذلك ، فدفع إليه فديته وقبضها الموكل ، واغفل القاضي عياض ذكر ان القاضي أحمد بن ذكوان (ت : ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) ، الذي كان قد اشترك في الجهاد في سبيل الله ، فتوفى في غزوة الصائفة ، بـ(منطقة كركي) (اسم حصن من أعمال مدينة أوريط شرق الاندلس ، له ولاية وقرى . ينظر : (ابن عبد الحق ، الحنبلي، ١٩٩١، صفحة ج٣ ، ١١٦٠) سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) ، وكذلك الحال مع القاضي محمد بن نجاح (ت : ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م) ، قاضي مدينة طليطلة في ايام الحاجب المنصور ، اذ ذكر ابن الفرضي بان هذا القاضي توفى بترحاله منصرفة من الغزوة المسماة (بغزة المدائن) (غزوة حدثت سنة (٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م) هاجم بها الحاجب المنصور مملكة ليون . ينظر : (عنان ، محمد عبد الله، ١٩٩٠، صفحة ج٢ ، ٥٤٣) في١ ربيع سنة (٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م) ، واشترك قاضي القضاة احمد بن ذكوان (ت : ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) مع الحاجب المنصور ابن ابي عامر في حملاته العسكرية التي شنها ضد الممالك النصرانية ، اذ ذكر القاضي عياض بان هذا القاضي : ((لم يتخلف عنه في غزوة من غزواته ، ولا فارقه في ضغن ولا إقامة ، وكذلك حاله مع ولديه عبد الملك المظفر والمأمون بعده)) (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٦٢) .

ولما اندلعت فتنة البرابرة ، تباينت مواقف القضاة منها ، فبعضهم تبنى موقفاً مؤيداً لها ، وبعضهم التزم الجانب المعارض ، ومن المعارضين قاضي الجماعة ابن وافد ، الذي اشتهر بمعارضته للبربر والنفور منهم ، وكان دائم التحريض عليهم ، الا ان البربر بعد ان تغلبوا على قرطبة ونصبوا سليمان الملقب بالمستعين على الحكم (٤٠٠ –

٤٠٧ هـ / ١٠٠٩- ١٠١٦م) ، بدأوا البحث عن القاضي ابن وافد ، فعثروا عليه ، وسيق راجلاً مكشوف الرأس ، مهاناً يقاد بعمامته في عنقه ، والمنادي ينادي عليه : هذا قاضي النصارى ، مسبب الفتنة وقائد الضلالة ، وهو يقول كذبت بفيك الحجر بل والله ولي المؤمنين ، وعدو المارقين ، أنتم والله شر مكاناً ، والله أعلم بما تصفون ، والناس تتقطع قلوبهم لما نزل به ، فلقيه في هذه الحال بعض أعدائه فقال : كيف رأيت صنع الله بك ؟ فقال : ما أتاهم قضاؤه كان ذلك في الكتاب مسطوراً ، ولقيه بعض أصحابه فقال : ترى أن أبلغ أمرك احمد بن ذكوان ، فإنه مقبول القول عند البرابرة ؟ فقال لا حاجة لي في ذلك ، فأدخلوه على سليمان المستعين في ذلك الوقت ، فأكثر توبيخه وأغرته به البرابرة فأمر بصلبه ، وشرع في ذلك فاضطرب البلد له ، ووردت عليه شفاعة والد المستعين ، وقاضي القضاة ابن ذكوان وغيره من الفقهاء والصالحين ، فرفع المستعين عنه الصلب ، وأمر بحبسه ، وبقى في السجن الى ان توفى سنة (٤٠٤ هـ / ١٠١٤ م) (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٦٦٩ . ٦٧٠) .

١٦ . محنته ووفاته :

بعد أن سادت الفوضى في البلاد وبدأ الناس يتساءلون لماذا هذه الخلاف والنزاع والخلافات التي انتشرت في البلاد ، ولما قتل الصقلبي حاجب المهدي وبايع الناس مجتمعين بين مؤيد ورافض وحتى اتفقوا على تأييد هشام المؤيد (ابن المستنصر صاحب الأندلس ، بايعوه صبيا ، فقام بتشييد الدولة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر . ينظر : (ابن خلدون ، عبد الرحمن الاشبيلي، ٢٠٠٠، صفحة ج١٧ ، ١٢٤) خلافته الثانية وقام واضح بأمره وحجايته والبرابرة مع سليمان المستعين يريدوا دخول قرطبة ، وعلى الرغم من ان محاولة هذا القاضي ابن ذكوان للصلح والتهدئة لم يكتب لها النجاح ، إذ سمع الخليفة رأي الوشاة عندما جرحوا بعدالة ابن ذكوان واخلاصه واتهموه بالميل الى البربر فشاع على بني ذكوان تهمة الخيانة ، الأمر الذي حمل الخليفة هشام المؤيد على اصدار أمر بإخراج احمد بن ذكوان واخيه ابي حاتم واخيهما الاخر الاديب عمر بن ذكوان وجميع أهله عن الاندلس ، ونفيهم الى عدوة المغرب ، فخرج يصحب أهله واخوته في سنة (٤٠١ هـ / ١٠١٠ م) ، وقد تهجر من بني ذكوان الذين بقوا ، فحملوا الى مدينة المرية وأجيزوا لحينهم البحر في حال شدة وعنف بهم وسلبوا دوابهم وثيابهم وخرجوا الى وهران (مدينة على البر الأعظم من المغرب . ينظر : (ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله، ١٩٩٣، صفحة ج٥ ، ٣٨٥) ، فعظم على الخاصة والعامة أمر نكبتهم ونفيهم ، لفرط محنتهم وجلالتهم في القلوب ، وقامت لنكبتهم بقرطبة القيامة وبعد مقتل جند واضحٍ ، ففزع من الاعيان ومحبي آل ذكوان عادوا الى وطنهم الاندلس (الخلف ، سالم بن عبد الله، ٢٠٠٣، صفحة ج١ ، ٣٦٥ . ٣٦٦) . ولم يتقلدوا اي منصب

حتى مات ابو العباس بن ذكوان سنة (٤١٣ هـ / ١٠٥٠ م) ، (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٧ ، ١٧٤) .

وتعرض ابن ذكوان لمحنة اصابته هو وأهله واخوته في سنة (٤٠١هـ /١٠١٠م) ، وتم نفيهم الى عدوة المغرب ، وتوفى سنة (٤١٣هـ /١٠٢٢م) ، بقرطبة ودفن بمقبرة بني العباس ، وشهدت جنازته خلقٌ كثير من الخاصة والعامة ، وشهد الصلاة عليه الخليفة نفسه في مسجد قرطبة الكبير في فترة صلاة الظهر ، اذ كان المسجد مزدحما بالمصلين وتقدم الخليفة يحيى بن حمود للصلاة عليه (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣ ، صفحة ج٧ ، ١٦٦) .

١٧ . ابو حاتم محمد بن عبد الله بن ذكوان :

ولد أبو حاتم سنة (٣٠٤ هـ / ٩٥٠ م) وكان من جلّة القضاء والحكام في عهد دولة العامرية ، عمل فيها أعمالا جليلة بغير كورة وولى المظفر خطة المظالم فحمد في كل ذلك ، وكان يخلف آخاه أبا لعباس على قضاء الجماعة بقرطبة مدة مغيبة في المغازي مع السلطان ، وقال ابن حيان : كان أبو حاتم أطلق من أخيه لسانا وله طبع في حسن الايراد والامتناع ، وقال الشنتريني عنه : وله اوفر حظ من الدراية بالحكومة وطيب المجلس . واشارت أحد المصار التاريخية بان الحاجب المظفر قلد الاديب (محمد بن عبد الله بن ذكوان) (ابو حاتم محمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان القرطبي ، ولد سنة (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) ، بمدينة قرطبة . ينظر : (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ٤٧٧) اخ القاضي أحمد بن ذكوان ، ولاية المظالم بقرطبة ، فُحمد على ولايته ، ولم يشر الى انه تقلد القضاء وتولى القضاء على مدينة فريش (مدينة بالأندلس غربي فحص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة . ينظر : (ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله، ١٩٩٣، صفحة ج٤ ، ٢٥٩) .

وبعد أن تولت هذهِ الاسرة مناصب كثيرة ، ومنهم ابو حاتم محمد بن عبد الله اخو القاضي وصاحب الرد احمد ابن ذكوان ، القضاء في عهد الدولة العامرية ، وولاه الحاجب المظفر المظالم ، فعمل على اعزاز الحق ونشر العدل (ابن بشكوال، ٢٠١٠، صفحة ٤٧٧) . وممن تولى خطة المظالم من اسرة بني ذكوان ايضاً ابو بكر محمد ابن قاضي القضاة احمد بن ذكوان ، وذكر القاضي عياض بان الخليفة المعتمد ولاه خطة المظالم الخاصية ، فكان حميد السيرة شديد المذهب صليب القناة في احكامه (القاضي عياض السبتي اليحصبي ، ١٩٨٣، صفحة ج٤ ، ٧٨٥) . وحتى توفي أبو حاتم (نصف شهر رمضان / ٤١٤ هـ / ١٠٥٠ م) ، وترك ابنه أبا علي وولي الحسبة بقرطبة في الفتنة ، ثم احكام القضاء وكان ثقة عارفا بالحكومة من اهل الحزم والنزاهة واشتهرت هذه الاسرة بالعلم والادب والشعر والفقه ومنهم من كان يشغل اكثر من علم ومنصب .

الخاتمة :

١ . يعد ال ذكوان من الأسر العريقة المعروفة في مجال العلوم الشريعة الاسلامية والآداب التي اشتهرت في المغرب والأندلس في مجال القضاء والفقه ولهم من التأليف وكان لهم التلاميذ والمريدين .

٢ . يرجع اصل آل ذكوان الى الاصل العربي ومن الجذور العربية من اصول يمنية وانتقل اجدادهم من اليمن الى المغرب ومن ثم الى الاندلس .

٣ . عرفت هذه الاسرة بانتمائها الى السلطة الحاكمة وتأييدهم للسطلة وعملوا في مفاصل الدولة وذلك بحكم الانتماء الى مذهب المالكي الذي كان معمولا به في ذلك الوقت .

٤ . بعد أن سادت الفوضى في البلاد وبدأ الناس يتساءلون لماذا هذه الخلاف والنزاع فيما بينهم ، ولما قتل الصقلبي حاجب المهدي وبايع الناس مجتمعين بين مؤيد ورفض مما ادى الى قتله بسبب الانتماء الى احد الفئات المتنازعة فيما بينهم .

قائمة المصادر والمراجع :

ابن الآبار ، محمد بن عبد الله القضاعي. (٢٠٠٠). *المعجم في اصحاب القاضي ابي علي الصدفي* . بور سعيد: المكتبة الثقافية الدينية.

ابن الاثير ، عزدين ابو الحسن السيباني. (١٩٩٧). *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك . (٢٠١٠). *الصله في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم* . تونس: دار الغرب الاسلامي.

ابن حزم ، ابو محمد علي . (٢٠٠٣). *المحلى بالآثار*. بيروت : دار الكتب العلمية .

ابن خلدون ، عبد الرحمن الاشبيلي. (٢٠٠٠). *تاريخ ابن خلدون*. بيروت: دار الفكر.

ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي. (٢٠١٠). *المغرب في حلى المغرب* . القاهرة : دار المعارف.

ابن عبد الحق ، الحنبلي. (١٩٩١). *مراصد الاقلاع من انحاء الامكنة والبقاع*. بيروت: دار الجبل.

ابن عذاري ، ايو العباس احمد بن محمد. (١٩٨٣). *البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب* . بيروت: دار الثقافة.

البلاذري ، أحمد بن يحيى. (١٩٩٦). *انساب الاشراف* . بيروت: دار الفكر.

الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن فتوح. (٢٠٠٨). *جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس*. تونس : دار الغرب الاسلامي.

الحميري ، محمد عبد المنعم . (١٩٨٨). *صفة جزيرة الاندلس* . بيروت : دار الجبل.

الخلف ، سالم بن عبد الله. (٢٠٠٣). *نظم الحكم الامويين ورسومهم في الاندلس*. المدينة المنورة : الجامعة الاسلامية .

الذهبي شمس الدين بن عثمان . (١٩٨٤). *سير اعلام النبلاء*. بيروت : مؤسسة الرسالة .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . (٢٠١٠). *بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة* . بيروت: دار الكتب العلمية.

الفاسي ، علال. (١٩٦٢). *الخطط الشرعية* (المجلد العدد ٦). (مجلة البينة، المحرر) المغرب: دار الرباط.

القاضي عياض السبتي اليحصبي . (١٩٨٣). *ترتيب المدارك وتعريف المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك* . المغرب: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

المقري ، شهاب الدين التلمساني. (١٩٤٠). *أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض* . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة .

الهروس ، مصطفى. (١٩٧٧). *المدرسة المالكية الاندلسية الى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص*. المغرب: مطبعة فضالة.

زنيدر ، كمال. (٢٠٢٠). *التاسلام السياسي وحق الشعوب في تقرير المصير* . الجزائر : الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراجية .

عنان ، محمد عبد الله. (١٩٩٠). *دولة الاسلام في الاندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين*. القاهرة : مطبعة الخانجي.

قلعه جي ، محمد رواس. (١٩٩١). معجم *لغة الفقهاء* . بيروت : دار النفائس.

ياقوت الحموي ، شفاب الدين ابو عبد الله. (١٩٩٣). معجم *البلدان*. بيروت: دار الصادر.